محمد بنيس

كتابُ الحبّ

تقاطعات في ضيافة "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي

شعر

رسم ضياء العزاوي. تقديم أدونيس



دار توبقال للنشر

كتابُ الحبّ

محمد بنيس

كتابُ الحبّ

تقاطعات في ضيافة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي

شعر

رسم

ضياء العزاوي

تقديم أدونيس

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار

بلفيدير، الدار البيضاء 20300- المغرب

الهاتف / الفاكس : 022.34.23.23 (212) - 022.40.40.38 (212)

الموقع : www.toubkal.ma - البريد الإلكتروني: contact@toubkal.ma

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
أدب مغربي حديث

الطبعة الثانية، 2009

الإيداع القانوني رقم : 2009/0445
ردمك 7-80-496-9954-978



أنا الاندلسيُ المقيمُ بين لذائذِ الوصلِ وحشرجاتِ البين .

•

لمحة

هَـــذَا العَمَلُ

نصُوصٌ وَرسُومٌ

مُتقَاطِعةٌ، تُعيدُ كتابةَ «طَوْق

الحَمَامَة فِي الألْفةِ والألاّف» لابن

حَزْم الأنْدلُسِيّ (456 ـ 384هـ / 1064 ـ 994م).

وهو رحْلةٌ تتصَاحبُ فيهَا أشْوَاقُ أعْمَالٍ أخْرَى،

تتَقدّمُهَا «مصَارعُ العُشّاق» للشّيْخ السرّاج، و«الرّوضُ

العَاطِر في نُزْهةِ الخَاطِر» للشّيخ النفْزَاوي و«ديوانُ الصّبابة»

لابن أبي حجلة، و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني.

كُتِبَ النّص بيْن مارس ويوليوز 1993

وأُنْجِزَ الرّسْم في صَيْف السّنة ذَاتِهَا.

ذُروَةُ المَوْج

نَشوةُ اللون، نَشوةُ الكلمة، وبينهما وفيهما انخطافُ الجسد. لايعرف الإنْسانُ لذَّةً أكثرَ بهجةً. لايعرفُ مادةً أكثر قُرباً إلَى هذه الروح. وأعني، بخاصة، الإنسانَ العربي. فعلى الرّغم من جميع القيود، شرعاً وتقاليدَ، لم تَتفجَّر أحلامُهُ ورغباتُهُ كما تفجّرت في سَرير الجسد. هبطَ بها حتى أعمقِ قرار، فأوغل فيها حتَّى الغُلمَة، وسَما بهَا حتَّى الأعَالي، فجعلَ من المرأة أخْتاً للسّماء. مارسَ أهْواءَ الجسد، وأوْشكَ أَنْ يقولَ عن هذه الممارسة ما لمْ يُقَلْ، وابتكَر لكيْ يُترجِمَ حَالات الحبّ والجنس، كلماتٍ وعباراتٍ تعجز عن ترجمة بعْضها كثيرٌ من اللُّغات.

وكان يعرفُ أنَّ الموت ينام دائماً مع الجسد على وسادة واحدة. غير أنَّه كان يُغطّي الزمن بأنْفاسه، مُضْفياً عَلى

الموت نفْسه نُكْهَةَ الحياة. يمْزجُ بينهُ وبينَ الجنون الأرضيِّ حيناً، وبينهُ وبين الفناء في أحْضان الحب، حيناً آخر، حيث الموتُ نفسهُ، يموت.

وفي الشعر الذي كتبه الشعراءُ بِحبْر الزمن، والشعرِ الذي كتبهُ المتصوفون بحبر الأبدية، نشهدُ مسْرحاً فريداً لهذا اللعب الأرضي الإلهيّ، لعبِ الجسد، ونَرى إلى العاشقِ والمعشوقة، كيفَ يُمسرحَان هذا اللعب كونيّاً، كأنهما، في آنٍ، المرئيُّ واللامرئيُّ، الجليُّ والخَفيُّ. وكلّ جسد آيةٌ في ذاته ولِذَاته. والنور الذي يضيءُ، هنا، غيرُهُ هناك. ولا طريقَ واحدة للسفَر إلى الأقَاصي.

يُعيدنا محمد بنيس وضياء العزاوي، بعُرْيٍ بهِيّ، إلى هذا المسرح، يُغْدقَان عَلى ظُلُماتِنَا أشِعَّةً من نُوره. يقْذفَان جحيمَنَا اليوميَّ في فيض هذه الأشعّة.

لِنُرافقْهُمَا، إذنْ في هذا السفر في الجسَد، نحْوَ الجسَد. ليكُنْ هذَا السفر محفُوفاً برَغَباتنا، مُشَعْشَعاً بأَحشائنا كَأنّه منّا وفينَا، إلَيْنَا. نَحْيا عاشقات وَعُشّاقاً، بالجسدِ والحُبّ لكَيْ نتجاوز الموْت، نَموتُ بهِما لكَيْ نُحسن الحياة.

هُو ذا طوقٌ آخرُ لـ«طوقِ الحمامة». فيه تتآلفُ لحظةُ الحسّ

ودَيْمومةُ العشق، وفيه تتآلف نشوةُ الجسد ونعمةُ الحبّ.

كتابٌ طوقٌ لا يُودّعُ الماضِي، بَل يستَبْقيه، فيما يستبِقُ المستقبلَ ليجْعَلَهُ حَاضراً.

كَأنّه يُدخِلُنَا إِلى محيط الجسد عَلى ذُروة المَوْج.

أدونيس

(باريس، 15 شباط 1994)

خَفِيَ عَنْ أَنْ يُرَى
وَجلَّ عَنْ أنْ يَخْفَى
فَهُوَ كَامِنٌ
كَكُمُونِ النَّارِ فِي الحجَرْ
إنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى
وإنْ تركتَهُ توارَى
وَإنْ لَمْ يَكُنْ شُعْبَةً مِنَ الجُنُونِ
فَهُوَ
عُصَارةٌ مِنَ السِّحْرْ

أَعْرَابِيّة

أَنَا لاَ أنَا

أَنَا الأَنْدلسيُّ المُقيمُ بَيْنَ لَذَائذِ الوصْلِ
وَحشْرَجاتِ البيْنْ
أَنَا الظَّاهريُّ
القُرطُبيُّ
الهَاجِرُ لكُلِّ وزارةٍ وَسُلطَانْ

أَنَا الذي رُبِّيتُ بَيْنَ حُجُورِ النِّسَاءِ
بَيْنَ أَيْديهنَّ نَشأْتُ
وَهُنَّ اللّواتِي عَلمْنَني الشعْرَ والخَطَّ والقُرآنْ
وَمِنْ أَسْرارهنَّ عَلمْتُ مَا لاَ يكَادُ يعْلمهُ غَيْري

أَنَا الذي يَقُول : المَوْتُ أَسْهَلُ منَ الفراقْ

هَذه شَريعَتي

أَنْ أَبوحَ لأَهل الصَّبَابةِ

في بَغْدادَ وَفَاسَ

وَقُرطُبَةَ

وَالقَيْروَانْ

أَنْ أُصاحبَ الدَّمْعَةَ إِلَى وَسَاوِسِ حُرقَتِهَا

أَنْ أُبَارِكَ وَرْدةً بينَ مَعْشُوقٍ وَعَاشِقٍ

وأَكتُبَ لَكْ

عَنْ هَذهِ البذْرة التي تكْفِي

لكُلِّ مَنْ يكُونْ

بَيْنَ مَسَالك السَّمْعِ والبَصَرْ

فِي حَضْرةِ

الجُنُونْ

I

أَحْوَالُ التّائِهِين

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةٌ
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالعِظَامِ دَبِيبُ

عُروَةُ بْنُ حِزَام



إلَيْك

اصْطَدمْنَا في زُقَاقٍ. لَعَلَّهُ ارْتعَاشَةُ الكَلاَمِ. لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا
عطْرٌ. هَدَّدَني الغِنَاءُ. نَسيجٌ مُبَلَّلٌ بهُجُومه. غَفْوَةٌ عَلَى كَتفي
تَنْأَى بأَعْضَائي. مَعَابرُ انْحَفرَتْ في زُرْقَةٍ وَحيدَةٍ. لَنَا مَعاً.
أَوْ لِي وَحْدي. صَبَاحُ الخَيْر يَا مَوْجَ السَّكينَةِ. هَلْ سَبَقتْ
يَدي كَلمَاتك. شَفَتِي خَدَّكِ. هَادِئاً فِي الصَّمْتِ. وَفيكِ.
أَنْتِ. انْحَرَفْتُ نَحْوَ ظلاَلٍ خَارجَات لتَوِّهَا منَ الأَنْفَاسِ.
ضيعِي. قَليلاً فِي أَبديَّتِكِ الخفيفَةِ. قُبَّةٌ خَضْراءُ تَحْرُسُنَا
مَعاً. أَوْ تَحْرُسُني وَحْدِي. مَسَافةُ البلّوْرِ. تَحْتَدمُ الشَّسَاعَةُ
كُلَّمَا ابْتَدَأَتْ نَواعيرُ المِيَاه بأَحْقَاقِهَا تَدُورُ وَتَغْسلُنَا. شَيْئاً
فَشَيْئاً. تَنْحُلُ الكَلِمَاتُ. وَالأَعْضَاءُ تَسْتَلِذُّ مَا يَجْذِبُهَا إلَى

أَسْفَلِ المَاءِ. مَوْجَةً فَمَوْجَةً. شَفَتاكِ تَقْتَرِبَان منْ كَفِّي. كَيْفَ انْتَسَبْنَا إِلَيْكِ. انْغَرَسْنَا في جَحِيمكِ. التَفَفْنَا. انْحَشَرْنَا. مَدَى أَوَّلُ يَنْشَقُّ وَيَتَّسِعُ. اتَّئدي أَيَّتُهَا العَسَاليجُ الوَافِدَةُ مِنْ أَخَاديدَ مَجْهُولَةٍ. وَأَنْتِ أَيَّتُهَا الدُّرجُ احْمِلِي أَقْدَامَنَا إِلَى حَيْثُ مَتَاهُهَا. انْتَهَى إِلَيَّ هَوَاءُ هَذَا الوقْتِ مُجْتَمعاً بِكُلِّ سُمُومِهِ. لَيْلٌ أَتَاكَ. وَمِنْكَ أَيُّهَا الطِّفْلُ. يَا شَبيهِيَ. اقْتَرَبْتُ. وَهَبْتُكَ صَمْتِيَ الذي لاَ أَمْلكُ غَيْرَهُ. سَاكناً بَيْنَ شَقَائِقِ النُّعْمَان. كَأَنَّهُ رَاكِضاً يَغْمُرُ ضِدَّهُ. صَمْتِيَ الأَزْرقُ سَيِّدِي. فِي شَفِيفِ تَمزُّقٍ. لَنَا مَعاً. أَوْ لِي وَحْدِي.

وَصِيّـة مَنْ ؟

طَوْقُ الحَمَامْ
صوتٌ يمدّ يدَهُ
كأنَّها القِنْديلُ في حقْلِ الغمامْ
صوتٌ يقولْ
لوْ أنَّ لي مَدارَ نيْزكٍ
أصَبْتُهُ
بشهْقةِ الذُّهُولْ
لوْ أنَّ لي وصيَّـةً
موْشُومةً بلوْعةِ الحنَّاء في كُلِّ الفصُولْ
كَتَبْتُ في دَمِ الغُصُونْ

بدَايةُ الحبِّ تكُونْ
تَحْتَ سَقِيفَةِ العُشَّاقِ لعبةً
يكْتشفُونَ صُدْفَةً
طريقَها أوَّلَ مَا يَكْتَشفُونْ
حَمامةً
ويَضْحكُونْ

أَلحبُّ ينزلُ عليْكَ وردةً
تجيءُ منْ أقْصَى مجَاهلِ السّكُونْ

أَلحبُّ يُخْفِي نهْرَهُ
عنِّي وعنْكَ
خُطوةً
وخُطْوتَيْنْ
يُسْرِجُ فيكَ شوْقَهُ
ودمعةً
ودَمْعَتَيْنْ

صوْتُ الملاَكْ
يدلُّ عَاشِقاً علَى سُكْرِ الهلاَكْ
وعاشقاً علَى مِسلَّةِ الجنُونْ

صَوْتُ الحبيبِ وخْدَهُ
يُسْكِنُنِي قُبّتَـهُ
لجسَدِي وهبْتُ جمْرةَ النُّحُولْ

الـحُبُّ مُتَعَدِّد

هَلْ أَدْمَنْتَ النَّظَرَ ؟
أَقْبَلْتَ بالحدِيثْ ؟

بأيِّ رَوْعٍ أَجبْتَ ؟
أَيِّ يدٍ لمسْتَ ؟

كيْفَ شربْتَ فُضْلةً في إنائِه ؟
تَشهَّيْتَ سَماعَ اسْمِهِ ؟

كَم ليْلَةً سَهِرْتَ ؟
وهَلْ هذَا القَلَقُ لَكْ ؟

متَى هجَمتْ عليْكَ حُمْرَتُكَ ؟
أَوْ جمُدَتْ عيْناكْ ؟

أنا أيْضاً مِنْ هؤُلاَءِ وهؤُلاءْ

الحبُّ لاَ يُنْبِئْ

رأَيْتُ اللّيلةَ في نوْمِي
امْرَأةً
فاسْتَيْقَظْتُ
وقدْ ذَهبَ قَلبِي فيهَا
هَلْ تَعْلَمُ مَنْ هِيَ ؟
قَالَ : لاَ. وَ اللّهْ

الحبُّ يُحْرِق

فِي بَابِ العَطّارينْ
رأَى الرّماديُّ جَاريةً تخلّلَ حُبُّهَا جميعَ أعْضَائِهِ
تبعهَا حتَّى ريَاضِ بَنِي مرْوَانَ
قَالتْ : أَنَا خُلْوةُ
قالَ : إنّي أَقنَعُ بالنَّظرْ
قَالتْ : ذَلكَ مُبَاحٌ لَكْ
ثُمَّ غَابَتْ
فِي
الزّحامْ

رأَيتُ في السّرَّاجينَ ابنَ حبُوسٍ
يُنْشِدُ للرّمَادِيِّ

أَمَّا أَنَا فَبَكِيتُ مِنْ حُرَقِ الهَوَى
وفِراقِ مَنْ أَهْوَى أَأَنْتِ كَذَاكِ

الـحُبُّ مِنْ شَهْوَةِ الجِمَاعْ

أَعْرفُ فتًى كَان يَبْتَاعُ جَاريةً
كَارهَةً لَهُ
لِقلَّةِ حَلاَوةِ شَمَائلهِ
وَقُطُوبهِ مَعَ جميعِ النِّسَاءْ

وَبعْدَ شَهْوة الجِمَاعْ
يَعُودُ الكُرهُ حُبّاً
وَالكَلَفُ اسْتِهْتَاراً مَكْشُوفاً
وَيُصْبِحُ ضَجَرُ الفِرَاقْ
أقْوَى
مِنْ كُلِّ ضَجَرْ

الحُبُّ سُلْطَان

فِي الحُبِّ تَخْضَعُ وَتَشْقَى
فِي الحُبِّ تَمُوتُ مَرَّاتٍ وَتَرْضَى
فِي الحُبِّ تُطِيعْ
فِي الحُبِّ يَبْطُلُ المَمْنُوعُ
المرْذُولُ
المَهْجُورُ
المُحَرَّمُ

لاَ تَحَالُفَ فِي الحُبِّ
وَلاَ اخْتِيَارْ

الحُبُّ أمْرٌ
فَاتكٌ
فَاسْتَسْلِمْ لوَقْتِ الغَزْوِ
وَاسْلُكْ
سَبِيلاً يُهَيِّئُهُ ضَيَاعُكْ

وَعَنِّي أخْبِرُكَ أنِّي أحْبَبْتُ فِي صَبَايَ جَارِيةً
لِي شَقْرَاءَ فَمَا اسْتَحْسَنْتُ مُنذُ ذَلكَ الوَقْتِ
سَوْدَاءَ الشَّعَرِ، وَعَلَى ذَلكَ كَانَ أبِي.

الحُبُّ اخْتِرَاعْ

تَحْتَ صَنَوْبرَةِ الرُّمُوزِ
يَنْطقُ الحُبُّ
الغَريبُ
خُذْ مِنْ هَذِهِ الأوْرَاقِ مَا يُذْهِلُ المَحْبُوبَ
وألْقِ بِهَا فِي مَاءِ الكَلاَمْ

شِعرٌ يُقَطِّعُ الأيْدِي
جفَاءٌ يُغَافِلُ
الحُضُورْ

جَهْرٌ لاَ يُدْرِكُهُ غَيْرُنَا نَحْنُ مَعاً
تَحِيَّةٌ
تَتْرُكُهَا مُعَلَّقَةً
بَيْنَ عَابِرِيْنْ
حَدِيثٌ عَنْ دَمٍ لَوْنٍ فِي
لَوْحَةٍ
لَمْ تُرْسَمْ بَعْدْ

وَحَدَّثني صديقٌ بالدّار البيْضاء، أَنَّهُ اخْتَطَفَتْهُ سَهْرَةٌ بسَرَادِيبِهَا، فُوجِئَ فيهَا بامْرأَة، صَامِتَة بين النّسَاء الحَاضرات، تَعْشَقُهُ بتكَتُّمٍ لا يدري منْ أيْن تتدلَّى أوْجاعُه. سلَّم عليها وعَيْنَاهُ عَلَى سَلْسَبِيلِ نَهْدَيْهَا. فَمَا اقْتَنعتْ. عندَ ذَاكَ اخْتَارَت لحظَةَ صمْتٍ، وأَلْواحُ الصَّحْراء تَنْحَتُهَا، فعنَّفَتْ به أمامَ الجَميع حتّى تأكَّدَ اضطِرابُهُ، وتَزَاحمَ شيءٌ منْ غُيُومِ غُرْبةٍ بين الأحْشاءِ والجَفْنَيْنْ.

بُورِكْتِ يا لُغَةَ العِشْق الكبيرْ!

الحُبُّ آيَة

بعَيْنَيْكَ اخْطفْ عَيْنَيْهَا
وآنْفَرِدْ بهمَا
فِي لُؤْلُؤَةِ السّكِينَةْ

بِعَيْنَيْكِ احْرِقي يَدَيْهِ
وانْسَكبِي
قَطْرةً
فَقَطْرةً عَلَى شَفتَيْهِ
وَبَلِّلي تُخُومَهُ
بشَهْوةٍ

أمِينَهْ
عَيْنَايَ لِي لُغَةٌ وَأَبْرَاجٌ
طَاعَةٌ
إِصْغَاءٌ
حَذَرٌ
تَلَذُّذٌ
وَحَيْرَاتُ طِفْلٍ أَوْدَعَنِي حَنِينَهْ

الحُبُّ إلْذَاذٌ

قَرِّبْني منْكَ أَيُّهَا الوصْلُ
وَانْشُرْ قَمرَكَ
عَلَى بَابِي
ضَوْءٌ يُغطِّينِي
وَضَوْءٌ
تَتسَابقُ فِيهِ أَعْضَائِي
وَضَوْءٌ
لوَرْدةِ الفَجْرْ
وَضَوْءٌ
بَيْنَ اخْتِلاَجَتَيْنْ

وَضَوءٌ

لِوَعْدٍ لاَ يَشِيخْ

وَضَوءٌ

أنْتَ هُنَا

أنْتَ هُنَاكْ

وَضَوْءٌ

بفَرحٍ منْكَ سَافِرْ فِي دَمِي

وانْصَرفْ

غَيْرَ مُلْتَفِتٍ

وضَوْءٌ

فلاَ نَأْيَ

وَلاَ دُنُوَّ بَعْدِي

حدَّثَنِي ثقةٌ منْ إخْوَاني عَشِقَ فِي صِباهُ جَارِيةً كَانَ مَمْنُوعاً منهَا فهَام بِهَا.

قَالَ لي :

تَنزَّهْنا يَوْماً إلَى ضَيْعَةٍ لَنَا بالسّهْلَة غَرْبِيّ قُرطُبَةَ مَعَ أحدِ أعْمَامي فَتمَشَّيْنَا فِي البَسَاتينِ وَأبْعَدْنَا عن المنَازلِ وانْبَسَطْنَا عَلى الأنْهار إلى أنْ غَيّمَت السّماءُ وأَقبلَ الغَيثُ فَلَمْ يَكُنْ بالحضْرةِ مِنَ الغطَاء مَا يَكْفِي.

قَالَ لي :

فَأمرَ عَمِّي بِبَعضِ الأغْطيةِ فَألْقَى عَلَيَّ وأمَرَهَا بالاخْتبَاءِ مَعِي.

قَالَ لي :

فَوَاللّهِ لاَ نَسِيتُ ذَلكَ اليومَ أبَداً.

وَكَانَتْ أعْضَاؤُهُ كُلُّهَا ضَاحِكَةْ.

الحُبُّ نَهْرُ الأبَد

لاَشَيْءَ غَيْرُ جدَاولَ
تَتواصَلُ
في عَرائِهَا
هَذَا هُو الحُبُّ

أنَا الذي يَقُولْ
ألـمثْلُ إلَى مثْله يَسْكُنُ
الـمِثْلُ بِـمِثْلِهِ يَتَّصِلُ

أنَا الذي يَقُولْ
أَجْزاءُ النُّفوسِ تَتجَانَسُ
وَفي الأنْدَادِ
التَّوافُقُ

أنَا الذي يَقُولْ
جَرَّبْتُ
وَشَاهدْتُ
خُذْ بمَا عَلِمْتُ عنْهنّ وَعَنِّي
هُوَ الحُبُّ مَزَّاجُ النُّفوسِ المُتَشَابِهَةْ

سِرُّ الطَّوْق فِيكْ
سرُّ التَّبَدُّدِ
فيكْ
يَا هَذه النَّفْسُ
ذَاتُ العَوَالِمِ الخَفِيفَةْ

أنا الذِي يَقُولْ

مَا تَمَكّن من النَّفسِ لَنْ يَفْنَى إلاَّ بِالـمَوْتِ

وَأنْتِ

طيرِي عَالياً

وَطيري

في فَضَاءِ الوَشْـمِ

تَقَصَّدِي

نِدَاءَ الـمَاءِ

أنْتِ

بَشَهْوةٍ طَوَّقْتُكِ أيَّتُهَا الحمَامةْ

وأنْتِ هَكَذَا أيَّتُهَا النَّفْسُ

غَمَامَةٌ تَدْفَعُهَا غمَامَةْ

II

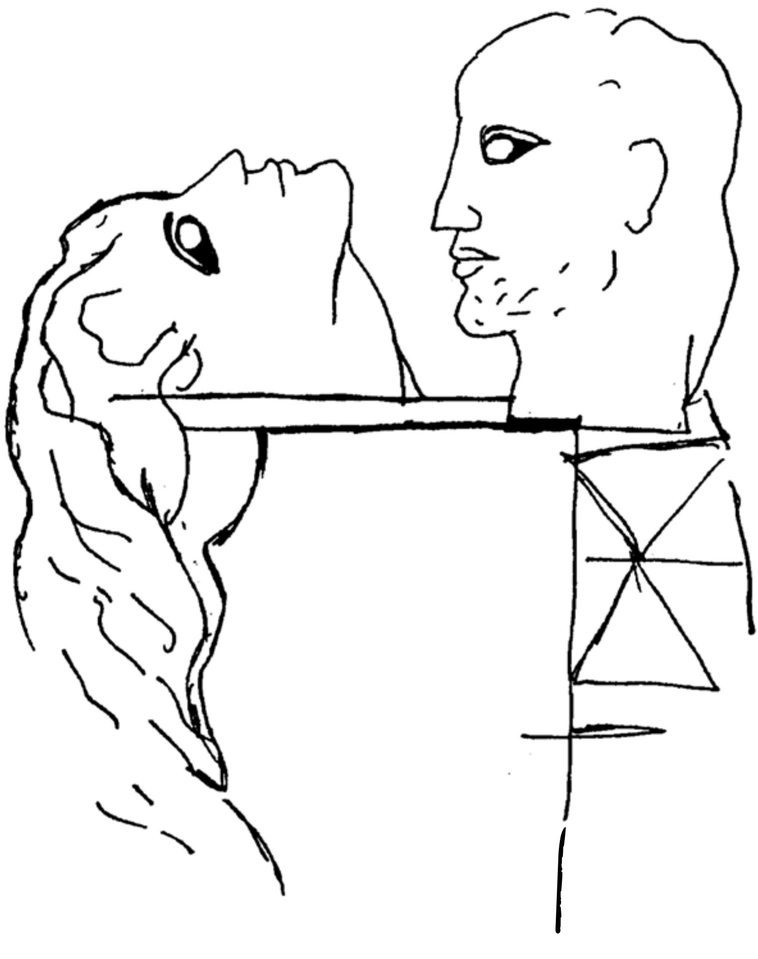
أَجْسَادٌ مُتبَدِّدَة

وَمَا ذَنْبُ أَعْرَابيَّةٍ عَرَضَتْ لَهَا
صُروفُ النَّوى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظنّتي

إِذَا ذَكَرتْ مَاءَ العُذَيْبِ وَطِيبَهُ
وَبَرْدَ حَصَاهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتِ

لَهَا آهَةٌ عِنْدَ العَشِيِّ وَآهَةٌ
سُحَيْراً وَلَوْلاَ الآهَتَانِ لَجُنّتِ

مَجْهُول



إلَيْك

لَيْسَ الوقْتُ صبَاحاً ولاَ مسَاءً. هُو بيْنَ الصَّباحِ والـمَساءِ. أوْ بالأحْرَى قليلٌ مِنَ الصَّبَاحِ وقَليلٌ منَ المسَاءِ. عَلى ذلكَ الحَبْلِ الذِي لاَ أرَى مِنهُ إلاّ اهْتزَازَ الغَسيل. وَاليَدُ معلَّقةٌ وحْدَهَا. تهتَزُّ معَ السُّطوح بجيرِهَا. أكَادُ أشُمُّ رَائِحةَ اليَدِ لأنَّهَا قَريبةٌ مِنَ الجيرِ وَخَلْفَهَا التي لاَ تَنامُ علَى سَريرٍ. مُجرَّدُ يدٍ. أصبُّ الشَّايَ وأمُدُّ الكَأْسَ إلَى يَدٍ لتَلْمسَ الأَصابعُ الأَصابعَ. الخَاتَمُ معْقُودٌ علَى شَفَتِي. وَأكادُ أجْلِسُ صَامتاً. لـمَاذَا اليدُ وَالـخاتَمُ والكأْسُ ؟ طَريقٌ بيْنَ اليَدِ وَاليَدِ. حادَثَةٌ بيْنَ اليَدِ وَاليَدِ. وَالقَمَرُ تركتْهُ اليَدُ خَارِجَ غُرْفَتِهَا. وَأنَا أشُمُّ عِطْرَ الحنَّاءِ. غُصْنٌ ذائِبٌ في صَوْتِي.

شَيْءٌ مِنَ اليد فِي فَمِي أوْ فمِها. وَأَهُزُّ اليَدَ لتكُونَ أَعْلى مِنْ صَدْري. وَالشَّايُ يُحرِقُ. الحنَّاءُ وَالجيرُ. وَرأْسي هَادِئ فَوْقَ الأَرضِ. أُمَرِّرُ اليَدَ على اليَدِ. اليَدَ التي لاَ تَحْملُ كِتاباً لأنَّها يدٌ في يدٍ. وَاللِّسَانُ عَلى البَشَرةِ. يَرضَعُ حتَّى لا يَنَامْ. قَليلٌ منَ الحَنَّاءِ وَالأنين. وَاليدُ التي تَمُدُّ الكَأْسَ لَمْ تُسَلِّم الكَأسَ بعْدُ. لُعْبَةٌ فَاتنَةٌ. هَذه الكَأسُ. فعِنْدَمَا انْطَرَحتُ علَى الأَرْضِ أخَذْتُ يداً وَانْدَلقَتِ الكأسُ بنَارهَا. يَدي علَى البَشَرَةِ. صمْتٌ وَلِسانٌ وَانْحِلالُ أَعْضَاءٍ. وَالصَّدْرُ يَنْحَنِي كأنَّهُ لاَ يَنْحَنِي. شجَرَةٌ تَدُورُ حَوْلي. أعْمِدَةُ رُخَام ونحْنُ علَى حَصِيرَة. بَشَرَةٌ سَمْرَاءُ تتعَرَّى. غَفْوَةٌ بيْنَ مَدِينَتَيْن. نِداءٌ يَأْتِي مِنَ الأَسْفَلِ. أَلَمٌ يأْتِي مِنَ الأَسْفَلِ. شِدَّةُ اهْتِزازٍ. منَ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ. لاَ شيْءَ يتْرُكُ شَيْئاً. فَاتكَانِ. يَنْحَلاَّنِ فِي عَواصِفِ الارْتِطام. ينْخَفضَانِ وَيَعْلُوَانِ. فِي الاتِّجاهاتِ كُلِّهَا. وَشَهْقَةٌ نَسِيتُهَا. علَى يَدي أَوْ علَى يَدهَا. حَارَّةً حتَّى التَّمزُّق. وَإِتْلافِ الأَعضَاء. بَينَ قَليلٍ مِنَ المَساءِ وَقَلِيلٍ مِنَ الصَّباحِ. وَالكَأْسُ تَتشَظّى. فِي الهَرِيرِ. سَيِّدِ الصَّمْتِ والفَرَاغْ.

جَسَدُ مَنْ ؟

منِّيَ اقْتَرِبْ أَيُّهَا الجَسَدُ بِغَيْرِ احْتِراسٍ
جَسَدُكَ ملْكُ شَهْقَتِكْ
في أَقْصَى لَذَائذِ
الحُبّ

منْ جسَدِكَ اقْتَربْ أَيُّهَا الجَسَدْ
وانْظُرْ إِلَى أَعْضَائِكَ
تَنْحَلُّ
وَتَذُوبْ

صَرْخَتُكَ بدَايَتُك أَيُّهَا الـجَـمَـدْ
لِهَا الأغْصَانُ
وَالأقْواسُ
لَهَا الضّحكَاتُ تَنْشَأُ
مِنْ حَنَاجِرِ الأبدْ

لاَ تخْشَ تَبَدُّداً أَيُّهَا الـجَـمَـدْ
وَعَارِياً تَقَدّمْ إِلَى عَيْنِي
عَارِياً ومُحْرقاً
وَفي الزَّوَابعِ انْحَفِرْ
بِشَهْوَةِ الأخَاديدِ
وانْتَصِرْ عَلَيَّ وَعَلَيْكْ
لِيَفْرَحَ اللّسَانْ
بِذَوْبِهِ
بَيْنَ شُقُوقِ غَيْمَةٍ
لَهِيبُهَا اتَّقَدْ

كُنْ لِي أَيُّهَا الجَسَدْ

مَسْكَنَ مَاءٍ

وَسُنْبُلَةً

لِبُطْلاَنِ مَا يُهَدِّدُنِي المَسَاءْ

مَوْتاً

وَفَنَاءْ

الحُبُّ كَاشفُ اللّذَّات

كَانت الحَـبيبةُ وَلاَّدةُ وَاحدةَ أوانِهَا
وَبقُرْطُبَةَ كَانَ مَجْلِسُهَا
مُنْتدَى الأحْرارِ
كَانَتْ سَهْلةَ الحِجَابِ
قَليلَةَ
اللاَّمُبَالاةِ
وَباللَّذاتِ حَاهرةً
عَلى ثَوبِهَا قَرأ غيْري وَقَرأتْ

أَنَــا وَاللَّــهِ أصْلُــحُ للْمَعَــالِي
وَأمْشــي مِشْيَتِـي وأتِيــهُ تِيهَــا
وَأُمْكِنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي
وَأعْطِــي قُبْلَتِــي مَــنْ يَشْتَهِيهَــا

الحُبُّ شَهْوَتَان

في أحْشَاءِ كُلّ وَاحد منَّا شَهْوَةٌ
كُنْتَ رَجُلاً كُنْتِ امْرأةْ
شَهْوَةٌ لَهَا الْجُمُوحْ
وَمَصِيرُنَا شَهْوَةٌ لاَ نتَّقِيهَا

امْرأةٌ تَقُولُ : شَهْوَتُكَ أنَا أيُّهَا الرَّجُلْ
رَجُلٌ يَقُولُ : شَهْوَتُكِ أنَا أيَّتُها الْمَرْأةْ

وَنَحْنُ مَعاً
طَائعَانِ لحَتْمكِ
أيَّتُهَا الشَّهْوَةْ

يُوسُفُكِ هَذَا
يَا امْرَأَةَ الْعَزِيزْ
وَصَرْخَتُكِ
صَرَخَاتُ كُلِّ امْرأةْ
لاَ حَاصنَ لَكُنَّ
هيتَ لَكَ يَا يُوسُفُ
هيتَ لَكْ
وَنسَاءُ الْـمَدينَةِ عَلَى مُتَّكَئهِنَّ
لِكُلِّ وَاحدَةٍ مِنْهُنَّ
سِكّينٌ
فاظْهَرْ عَليْهنَّ يَا يُوسُفُ
حَاشَى أنْ نَرَى إلَيْكَ
بغَيْرِ الشَّهْوَةِ
يَا يُوسُفُ
حَاشَى

وأنَا أرَى إلَيْكُنَّ
تُقَطّعْنَ أيْدِيَكُنَّ
وَدَبيبُ
الشَّهْوَةِ يَمْشي فِي كَامِلِ الجَسَدْ

الـحُبُّ مَكِيدَة

أَخْبَرَنِي الشَّيخُ النّفزَاوِي، وأَنَا أرى إلَى يَمِينِ ابْتِسَامَتِهِ، قَالَ :

كَانت امرأةٌ تَهْوَى رجُلاً صَالحاً وكانَ لَهَا جَاراً، فَقَال:

ـ مَعَاذَ اللّه.

فَجَعَنتْ تُراوِدُهُ مِرَاراً فيَأْبى. وجعَلتْ تنصِبُ لهُ الـمَصَائدَ وتعْملُ لهُ الـمكَائِدَ فلَمْ يحْصُلْ.

فلمَّا كانَتْ لَيْلةٌ أتَتْ لوَصِيفَتِهَا وقالتْ :

ـ افْتَحِي البابَ وخَلّيهِ

فَفعَلتْ مَا أمَرتْهَا.

فَلَمّا كَانَ شَطْرُ اللَيْلِ قَالتْ لَهَا :

ـ اخْرُجِي بِهَذَا الحجَرِ واضْرِبِي بابَ الدَّار ضَرْباً شَفِيفاً، وَخَلِّينِي أنَا أصيحُ.

ففَعَلتْ مَا أمَرتْهَا.

فَلمّا سَمِعَ الضّرْبَ والصّياحَ قَال لِامْرأتِهِ :

ـ مَا هَذا ؟

قَالتْ لهُ :

ـ هذِهِ جَارتُنَا فُلانةُ أَتَتْهَا اللُّصُوصْ.

فخَرَجَ نَاصِراً لهَا، فلَمَّا تورَّط معَهَا في الدَّار غلَّقَتِ الوصيفَةُ الأبوابَ وَمَسكُوهُ وَجَعَلُوا يَصيحُونَ. فقال :

ـ مَا هَذَا الفِعْلُ ؟

قالَت لهُ :

ـ إنْ لَمْ تَفْعَلْ مَعي كذَا وكذَا لقُلْتُ إلاَّ أنْتَ غَريمِي. وأنْتَ رَاودْتَني عَنْ نفْسي وفعَلْتَ لي هذَا الفِعْلَ.

فقال :

- مَا شاءَ اللهُ كانَ، ولاَ رادَّ لأمرِهِ ولا مُعقِّبَ لحِكْمَتِهْ.

فجَعَلَ يحْتالُ لكَيْ تُطْلقَه فأبَتْ وَجَعَلتْ تَصيحُ فأتَاهَا النَاسُ كَثيرُونَ. فَخشِيَ علَى نفْسِه وقَالَ لهَا :

- اسْتُرينِي وأنَا أفْعلُ.

فَقالَتْ لهُ :

- ادخُلْ إلَى المَقْصورَةِ وَأغْلِقْ علَيكَ إنْ أردْتَ النَجاةَ، وإلاَّ أقُولُ لَهُم فَعَلَ هذَا الفِعْلَ مَعي وَمَسكْتهُ.

فَدَخَلَ المَقْصُورةَ وأغْلَقَ علَيه البابَ لَمَّا رأى الجدَّ منْهَا. ثُمَّ قفلتْ عَلَيْهِ وَخرَجتْ للنَّاس فتَغيَّروا لَهَا وانصرَفوا.

فأغْلقَتِ الأبْوابَ وَحصرَتْهُ أسْبُوعاً عِنْدَها ولا طَلَقتْهُ إلاَّ بعْدَ مَشَقَّة.

الـحُبُّ هَوىً

امْرَأَةٌ أوْ رَجُلٌ
مَنْ أَحَسَّ مِنْهُمَا، فِي مَكَانٍ،
بِغَيْرِهِ
نَادَى عَلَى عَيْنَيْهِ أوْ عَلَى شَفَتَيْهْ

تَقَدَّمْ يَا نِدَاءُ إلَيْهْ
رَنِيناً
عِطْراً
كَلِمَاتٍ
خَالاً مُدَمّى

فَتْحَةَ أزْرَارٍ
مَاءً عَلَى بشَرَةٍ يَفيضُ وَيَنْسَابُ
تَقَدَّمْ وَاسْكُبْ عَلَيْهْ
مَوْقِدَ الْهَوَى
واشْرَبْ مَا تَشَاءْ
منْ سَلْسَبِيلِ الْعُرْيِ ضَاحِكاً
بَيْنَ يَدَيْهْ

رَجُلٌ أوِ امْرأةٌ
وَشَمَعْدَانٌ
قَطَرَاتُ ضَوءٍ فَاتِكٍ
فِي
أقْصَى مكَانٍ
يَا ذَوْبَ الأنِينِ
كَوْكِبْ
جَمْرَتَيْهْ

الـحُبُّ بَلاَغَة

أَخْبَرَنِي الشّيخُ النّفزَاوِيّ، ونَحْنُ عَلَى مَقْربَةٍ مِنَ الْـجَبّانَةِ فِي الْقَيروانِ، قَال :

كَانت الـمُعبّرةُ أحْكَمَ أهْلِ زَمَانهَا وأعْرَفَهُم. قيلَ لهَا :

ـ أيْنَ تـجِدْن مَحبَّةَ الرِّجالِ وكُرهَهُمْ ؟

قالَتْ :

ـ فِي الفَرْجِ. فمَنْ أحْببنَاهُ أعْطيْنَاهُ فرْجَنَا، وَمَن كرِهْناهُ منَعْناهُ عَنهُ، ومَنْ أحْبَبنَاهُ زدْنَاهُ مِنْ أيْدينَا واستَقْنَعنَا منْهُ بأدْنَى شَيءٍ، وَإنْ لـمْ يكُنْ لهُ مَالٌ رَضِينَا بِه. وَمَنْ أبغَضْناهُ أبعَدْناهُ وَلَوْ أعْطَانَا وأغْنانَا.

وقِيلَ لَهَا :

- وَأيْنَ تَجِدْنَ الـمَعرفةَ والعِشْقَ والذَّوقَ ؟

قَالتْ :

- في العَينِ والقَلْب والفَرجِ.

فَقيلَ لهَا :

- بيِّنِي ذَلك.

فَقَالتْ :

- الـمَعرفَةُ مَسْكَنُهَا العيْنُ. والعِشْقُ مسْكَنُهُ القَلْبُ. والذَّوقُ مسْكنُهُ الفَرْجُ. فإذا نَظرتِ العيْنُ إلَى مَنْ كَانَ مَليحاً واسْتَحْسنَتْهُ وتَعجَّبتْ فِي شَكْلهِ وحُسْنِ قَوَامهِ، فتَسْري مَحَبَّتُهُ في القَلْب، فَحينَئذ يتَمكَّنُ فيهِ العشْقُ ويسْكُنُ فيهِ، فنَتْبَعُهُ ونَنصُبُ لـهُ الأشْراكَ، فإذَا حَصَلَ واتَّصلْنَا به فيَذوقُه الفَرجُ، فَحينَئذٍ تَبينُ حَلاوَتُهُ منْ مَرارَتهِ بِمَليقِ الـمَرأةِ، لأنَّ مَليقَ الـمَرأةِ فَرْجُها، فِيهِ تَعْرِفُ الـمَليحَ مِنَ القَبيحِ عِنْدَ الـمَذَاقْ.

هَيَّأتُ

لَكِ هَيَّأتُ لَيْلَةً بحنَّائهَا
هَيَّأتُ شُرْفَةً تُقَرّبُني
منْ رَيَاحينِ فَاسْ
وَقُلْتُ لِوَشْمَةٍ
تَرَقْرَقِي
نَدِيَّةً فَوْقَ هُبُوبِ شَوْقِهَا

لَكِ هَيَّأتُ وَرْدَةً
هَيَّأتُ مَوْجَهَا
وَنُثَارَهَا

وَقُلْتُ لنُعُومَةٍ تَشْهَقُ بَيْنَنَا
هيَ لَكْ
شُعْلَةٌ أخْرى لِشَفتَيْكْ

لَكِ هَيَّأْتُ مِسْكاً وَعَنْبَراً وَلُبَانْ
مَزَجْتُ مَلْمساً
بِمَلْمَسٍ
وَقُلْتُ لِلشّفَقْ
أخَ النَّبيذِ أنْتَ أخي
طِرْ بِي إلى حَيْثُ يَمْحُو الْمَعَانِي عِشْقُ الأبَدْ

III

وَجْهاً لِوَجْه

حُبِّبَ إِلَـيَّ مِنْ دُنْيَاكُـمْ ثَـلاثٌ : النِّسَـاءُ
وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُـرَّةُ عَيْنِـيَ في الصَّـلاَة

حَديثٌ نبَويّ



إلَيْك

مَنْ كَانَ بَيْنَنَا في تلْكَ اللَّحظَةِ ؟ مَنْ قَادَ يَدي إلَى بَشَرةِ خَدِّك ؟ مَنْ مَزَّقَ أنْفَاسي وَصبَّهَا قَطَراتٍ في أنْفَاسكِ ؟ مَنْ قَال لِي أنْتِ وَحْدَكِ ؟ لاَ شَيْءَ يَعْلو عَلى مَاءٍ يَنْبُعُ مِنْ حَوْضيْنَا مَعاً. وأجْرِي تَحتَ سَماء عطْركِ. كَانتْ لِي رغْبتَانِ. لَم يَلْتبِسْ عليَّ مَدَاكِ. أصوَاتٌ تَتوالَى في الشّرايين. هَذه أنْتَ. أوْ أنْتِ هَذَا. التَأمْنَا. عَشَقَةٌ. لَهَا خُلودُ النَّارِ. انْحرفْنَا. قَليلاً عَنْ مُعاشَرَة الكَلاَم. ثُمَّ انْسَلَلْنَا طَائِعَيْنِ نحْوَ جُموحِنَا الأقْصَى. مَخابىءُ هَيَّأتْ صَمْتاً. لتَسْميَة الغَزَالَةِ. يَا غَزالةُ. يَا غَزالُ. كُلَّمَا انْجذَبْنَا إلَى الأسْفَلِ اشْتَدَّ سُطُوعُكَ. أيُّهَا العَسْجدُ البَحْريُّ.

غِيبِي. عَنْ بَقَايَا غَيْرِكِ. فِيكِ. انْخَطِفِي. مَسَافاتٌ مِنَ الأضْواءِ تُفْسحُ في الطَّرِيقِ. هَذه أنتَ. أوْ أنْتِ هَذا. اكْتَسَيْتُ بلذَّة أنْ أضُمَّكِ. والنُّجُومُ ضَاحكَةٌ كَعَادَتها. انْتَمَيْتُ لعُرْيكِ الأَبديِّ. هُبوبُ يدٍ منَ النِّسْيَانِ. تبْسِطُ لِي وَدَاعتهَا. فَلاَ تَخْشَ أنْ تكُونَ. أنْتَ. حُروبُكَ أنْ تُبادرَ بانْغراسٍ. في المَكَان الحُرِّ. حَيْثُ صَبَابَةٌ تَحْتدُّ فيكَ. عُرْيُكِ أَوَّلاً. أدْنو مِنَ البجَع الخَفِيِّ. أضيعُ بَيْنَ غَرائبِي. هَلْ هَذه أَنَا ؟ أفَاريزٌ وأفَاريزٌ. عَثَرْتُ عَلَيَّ فِيكِ. أنتِ وحْدَكِ. عَطَشِي. هَذِه مَضَايِقُ أفْضَتْ بِي. إلَى مَا لاَ تَعْرفُ عَنْهُ شَيْئاً. أيُّهَا العَابِثُ بِي.

وَجْهُ مَنْ ؟

هيَ الظلاَلُ وَحْدَهَا
بلَذَّةِ الصَّدى تَدُلُّنِي عَليْكْ
زُمُرُّدٌ
وَسَوْسنٌ
وَحُرْقَةٌ شَرِبْتُ مَاءهَا الرَّحِيمَ
مِنْ يَديْكْ

وَهَا أنَا أرْكُضُ خَلْفَ ذَبْذَباتِ قَمَرٍ
أرَى إلَيْكْ
وَخُطْوَتَانِ تَـمْضِيانْ

وَشَفَتَايَ تَخْطِفَانِ
لَوْعَةً
مِنْ شَفَتَيْكْ

حَقّاً أَنَا ابْتدأْتُ فيكِ إذْ رَحَلْتُ وَرَأيْتْ
بَحْراً يُضِيء بِمَعَادنِ
النُّجُومِ
وَعَواصفِ السَّريرَةِ
اكْتَفَيْتْ
بِغفْوةٍ عَلَى بَريقِ رُكْبَتَيْكْ

شَوْقٌ
يُوَسِّعُ النِّداءْ
وَكُلَّمَا منْكِ اقْتَرَبْتُ
صَرْخَةٌ

أسْمَعُهَا تَهُزُّنِي
ووَرْدَةٌ
تَسْبِقُنِي إلَى هَوَاءِ كَتِفَيْكْ

دَمُ الصَّبَاحْ
دَمي الذي وَهَبْتُهُ لضِفَّتَيْكْ
يُنبئُنِي أنّ الغنَاءْ
هُوَ غنَاء زُرْقَةٍ
لَهَا انْسِيَابُ قَدَمَيْكْ

الـحُبُّ مَكَانٌ يَطِير

.1

وطِئْتُ بِسَاطَ الـخُلفَاءْ

وَشَاهَدْتُ

مَحَاضِرَ الـمُلُوكِ

فَمَا رَأَيْتْ

هَيْبَةً

تَعْدلُ هَيْبَةَ مُحِبٍّ لِـمَحبُوبِهِ

وَمَا رأَيْتْ

فَرحاً شَبِيهاً بـمَرْجَانِكَ

يَا صَدِيقِيَ الـمُحِبّ

فَراشَةٌ

تَحَدَّرتْ إليْكَ منْ سَكينَةِ المَحْبُوبْ
وَفِي الأوْقَات كُلّهَا
فَراشَةُ الصَّفَاءْ

.2

حَضَرْتُ مَقَامَاتِ الـمُعْتذِرينْ

بَيْنَ أيْدي السَّلاَطِينِ

مَواقفَ الـمُتَّهَمِينْ

بعَظِيمِ الذُّنوبِ

مَا

رَأيْتْ

أذَلَّ منْ مَحْبُوبٍ وَاقِفٍ

بَيْنَ يدَيْ مَحْبُوبهِ

الغَضْبَانْ

لاَ سُخْطَ بَعْدَكَ

لاَ جَفَاءْ

لاَ شَفِيقَ في طَاعَة الـحَتْفِ

لاَ رَفِيقَ فِي البلاَءْ

وأنَا اخْتَبَرْتُهُمَا مَعاً

فِي الثَّانِيَّةِ أكُونُ ألْيَنَ مِنَ القُطْنِ

أكُونْ

أذَلَّ

مِنَ الرِّداءْ

وَجْهٌ يَلْسَع

كُنْتُ بَيْنَ يَديْ وَالدِي
وَقَدْ أمَرَنِي بكِتَابٍ أكْتُبُهُ
فَلمَحَتْ عَيْنِي امْرأةً قَطَّعَنِي حُبُّهَا

لَمْ أملِكْ نَفْسي
رَمَيْتُ الكِتَابَ
وَبَادَرتُ نَحْوَهَا

بُهِتَ أَبي
وَطافَتْ بِهِ الظُّنُونْ

ثُمَّ انْـجَذَبْتُ إلَى عَقْلِي
مَسَحْتُ وَجْهي
عُدْتُ
وَاعْتَذَرْتْ

وَجْهٌ يَتَجَلّى

كَانَ أبـو عَـامِـرٍ حَسَنَ الوَجْـهِ كَامِلَ
الصُّورةِ كَانتِ الشَّـوارعُ تَخْلُو مِنَ
العَـابِرينَ يَتَعَمَّدُونَ الـحُضُـورَ إلَى
بَاب دَارِهِ

في الشَّارع الآخِذِ مِنَ النَّهْرِ الصَّغيرِ
على بَاب دَارنَا في الجانبِ الشَّرْقِيِّ
بِقُرْطُبةَ إلَى الدَّرْب
الـمُتَّصِل بقَصْرِ الزَّهْـراءِ كَانَتْ دَارُهُ
مُلاصِقَةً لَنَا

وَكَانُوا يَحْضُرونْ

لاَ لشيْءٍ
إلاَّ للنَّظَرِ منْهُ

أعْرِفُكُنَّ وَاحدةً
وَاحدةً
يَـا مَيِّـتَـاتٍ منْ مَحَبَّـتِـهِ
قَتِيلاَتٍ مِنَ الوَحْدَةْ

وَجهٌ يَشْبَح

أخْبرَنِي بَعضُ إِخْواني عَن الشاعرِ
سُليْمانَ ابْنِ أحْمدَ أنَّهُ رأى بجَزيرةِ
صِقِلّيةَ الحاجِبَ ابنَ سَهْلْ

وَذَكَرَ أنّه شَاهدهُ يَوْماً في مُتنَزَّهٍ
مَاشياً وَخَلْفَهُ امْرأةٌ تَنْظُرُ إلَيْه

أعنِّي فَلمَّا أبْعَدَ

أَيُّهَا الـخَفَاءُ أتَتْ إلَى الـمكَانِ الذي خَطَا عَليْهِ

عَلَى قَلَقِي فجعَلتْ تُقبِّلُـــهُ وَتَلْثُمُ التُّــرابَ

والـحَصَى والضَّوْءَ وَالنَّبَاتْ

وَجْهٌ يتهَيَّأ

وَمَا رأيْتُ قَطُّ مُتَعَاشِقَيْنِ
إلاَّ وَهُمَا يتَهَاديانِ خُصلَ الشعَرْ

مُبَخَّرَةً بالعَنْبرِ
مَرْشُوشَةً بِمَاءِ الوَرْدْ

جُمعَتْ بالشَّمْعِ الأبْيَضِ المُصَفَّى
وَلُفَّتْ فِي تَطَارِيفِ الوَشْيْ

كَلمَاتُـنَا تلْكَ تَذْكرةٌ
التَأمَتْ فِي مُنْعَطَفِ لَنا مَعاً
ضَوءٍ فِي زَمْهَرِيرِ البَيْنْ
وَعَيْني مَا زالَتْ
مُثَبَّتَةً فِي غُنْبَازَةِ الكَلِمَاتْ

وَجْهٌ يَسْعَى

وَإِنِّي لأُخْبرُكَ عَنِّي

أَلِفْتُ في صباَيَ أُلفَةَ الـمَحَبَّةِ
جَاريةً نَشَأتْ فِي دَارنَا
كَانتْ غَايَةً فِي حُسْنِ الوَجْهِ
وَالعَقْلِ وَالعفَافْ

كَانتْ قَليلَةَ الكَلاَمِ
دَائمَةَ القُطُوبِ
تَزْدَانُ فِي الـمنْعِ والبُخْلْ

وَكَانَ للْعُودِ بَيْنَ أَصَابِعِهَا
عِطْرٌ
وَظلاَلٌ
وَعُرْيٌ خَفِيّ

سَعَيْتُ وَسَعَيْتُ
أَنْ تُجيبَني بِكَلِمَةٍ لي وَحْدِي
وَسَعَيْتْ

ثُمَّ التَقَتِ النِّساءُ في مَقْصُورةٍ فِي
دَارنَا مُشْرفَةٍ عَلَى بُسْتانٍ يُشْرِفُ
عَلَى بيوتِ قُرطُبَة

في فَاسَ
كُنْتُ أدَافعُ عنْ
العَتَمَاتِ المُؤديَّةِ
إِلى قُوَّةِ أنْ أرَاكْ

كَانت المقْصُورةُ مُفَتَّحةَ الأبْوابِ
والنِّساءُ كُنَّ مِنَ الشَّراجيبِ
يَنْظُرْنَ
كُنْتُ أنَا بيْنَهُنّ

كُنْتُ   أذْكُرُ أنِّي كُنْتُ أقْصدُ البابَ الذِي
أوَزِّعَ الصباحَ   هِي فيه اقْتِراباً منْها
وَالصَّبَاحْ   بِمُجَرّد أنْ تَراني في جوارهَا
وَالبَرْدُ وَحْدَهُ   تَتْركُ ذَلكَ البَابَ وَتَقْصِدُ غَيْرهُ
يُذكِّرُنِي بأصَابِعي   فِي لُطفٍ

وَأَتَعَمَّدُ القَصْدَ ثَانيةً إلَى البابِ
الذي صَارتْ إلَيْهِ فتَخِفُّ إلى
غَيْرِه
وَأنَا مِنْ بابٍ إلَى بابْ

وَعِنْدَمَا أمَرتْهَا سَيِّدَتُهَا أخَذتِ
العُودَ وَغَنَّتْ لَنَا مَعاً
أوْ لِي وَحْدِي

إِنِّي طَرِبْتُ إِلى شَمْسٍ إِذَا غَرِبَتْ
كَـانَتْ مَغَـارِبُها جَوْفَ الـمَقَاصِيـرِ
لَيستْ مِنَ الإنْسِ إلاَّ فِي مُنَاسَبَةٍ
وَلاَ مِنَ الـجنِّ إلاَّ فِي التَّصَـاوِيــرِ
فَالوجْهُ جَوْهَرَةٌ وَالـجِسْمُ عَبْهَرةٌ
وَالـرِّيـحُ عَنْبَـرَةٌ وَالكُلُّ مِن نُـورِ

لَمْ يكُنِ الـمِضْرابُ يقَعُ إلاَّ عَلَى
أنْفَاسِي

ثُمَّ شَغَلَتْني النَّكَبَاتُ فِي عَهْدِ
هشَامْ
وَكَانَ الاعْتقَالُ
وَكَانت الفتْنَةْ
وَأنا مِنْ بَابٍ إلَى بَابْ

حَتَّى كَانتْ جَنَازةُ بَعْضِ أهْلِنا
فَرأيْتُ عَشيقَتي
وارْتَفَعَ الصُّراخُ كَانَ صُرَاخِي
ما كُنْتُ نَسيتُ
اتَّقَدتْ أعْضائِي
نَارٌ
تُهَجِّجُ نَارَهَا
وَلَوْعَةٌ
تُنَادِي عَلَى اللَّوْعَةْ

سَمَاءُ الوَصْل

سَمَائي
تَحْتَهَا السَّمَاواتُ تَعْوِي

سَماءُ السَّيْفْ
سَماءُ وَهَبْتُكَ مَا تَشَاءْ
سَماءُ القَولْ
سَماءُ مَنْ لاَسَمَاءَ لَهْ
سَماءُ الطُّمَأنينَةْ
سَماءُ كُنْ لَهُمْ

سَمائي
سَماءُ الوَصْلْ

IV

جُننْتِ أيَّتُهَا الأنْفَاس!

أَنَــا من أهْــوى وَمَنْ أَهْــوىَ أَنــا
نَحْــنُ رُوحَــانِ حَلَلْـنَا بــدَنــا
فَــإذَا أبْصَــرْتَني أبْصَــرْتَــهُ
وَإذَا أبْصَــرْتَــهُ أَبْصَــرْتَنَــا

الحَلاّج

الحُــبُّ عَـذَابٌ، الحُــبُّ يَقْتُــلُ

جلال الدين الرّومِي



إلَيْك

لأَعْضَائيَ ارْتيَابٌ. هلْ هَذِه أعْضَائي؟ لأَعْضَائيَ انْفلاتٌ ونَأْيٌ. إلَى أَيْنَ تَمْضِينَ يَا صَدِيقَاتِي؟ أطُوفُ بالـمَدِينَة الأَسْوارِ. الـمَدينَةِ البُيُوتِ. الـمَدينَةِ الشواطئ. الـمَدينَةِ السَّراديبِ. بَاحثاً أَطُوفُ عَنْ نـجْمَةِ آشُورَ أوْ أُغْنيةِ غَرْنَاطَة القريبةِ. أطُوفُ بَيْنَ كُتُبٍ وعَرَّافَاتٍ وَاثقَاتٍ من خُطوط كَفِّكِ. وَأَسْتَحْلفُكُنّ. يَا بَنَاتِ القَيْروَان. لِي قَناديلُ احْتَرَقَ زَيْتُهَا. وَالعَظمُ عَظمِي. تَهُبُّ عَلَيَّ صُورةٌ فَأقُولُ لشَهْوَتِي مَمْشايَ أَنْتِ. مَسَاقِطُ عِطْركِ الأَبَديِّ وَاسعَةٌ. لَمَامَاتُ أَنْفَاسٍ. فَضَاءاتٌ فيهَا اخْتَلَطَ الوجْهُ بالوَجْهِ. شاحبَةٌ. أَطُوفُ بِيَدٍ كُنْتُ أَهْديْتُهَا ظِلالاً وَقَرَنْفلاً. منْ شُرُفَاتِهَا

هَيَّأْتُ مُسْتَقْبلاً لأَنْفَاسِي. وَالصَّخْرةُ العُليَا لَمعَتْ في فَجْرِهَا جُغْرافِيَّةٌ جَدِيدةٌ للأَنْهَار وَالسُّهُوب وَالمَمَرَّاتِ والرَّحِيلِ وَالوَشْوَشَات وَالغنَاءِ. لَمَعَانُ عَابِراتٍ بهِنَّ كُنْتُ التَقَيْتُ بَيْنَ بَياض كُتُبٍ سَعيدَةٍ. وَاحْتَفَى المَتَاهُ بالمَتَاه. إلَى أَيْنَ نَمْضي أَيَّتُهَا اليَدُ المَذْعُورةُ بالمُسْتَحيلِ ؟ لَمْ تَعُدْ لَدَيْنَا غيْرُ الأسْوارِ فَالأسْوَارِ. بَلَى. جِهَتُنَا المَتَاهُ. عَلى رِمَالٍ تَكْبُرُ بمَا تَبَقَّى مِنْ دمَائِنَا. وأَقول السَّابقينَ واللاَّحقينَ. رِمَالٌ تَجُرُّ خَلْفَهَا رَبَاباً بأَصَابعَ مُدَمَّاةٍ. وَفِي وَحْدَتَها تنقُر : أَنْتَ لِي. في زَمَنٍ لاَ يُطِيقُ أَنْ يَكُونَ زَمَنِي.

جُنُونُ مَنْ ؟

يَا سَاكنَ الرِّيحِ وَالـخُزَامَى
يَا سَاكنَ الأيْدي عِنْدَ انْسدَادِ البَحْرْ
يَا سَاكنَ شَهْقَةٍ نَسِيَتْ صَاحِبَهَا وَلَمْ تَنَمْ بَعْدْ
بَأَيِّ لَوْثَةٍ كَتَبْتْ ؟

يَا حَارسَ الأرجَاءِ بَيْنَ مُرْسيَةَ وَبَغْدَادْ
يَا وَاهبَ الشَّمْسِ طَيْفاً تَقُودُهُ في رَدْهَةِ الـمُحَالْ
يَا مُوقدَ النَّارِ في سُفُنٍ تَـحْتَاجُ لِنكْبَةٍ أخْرى
أَيْنَ صَديقِيَ ابْنُ حَزْمْ ؟

يَا وَرْدَتي الْقَرِيبَةْ
يَا أناشيدَ تَصْطَفُّ عَلَى دُرَج غبْطَتكَ الغَريبَةْ
يَا مُضيفَ نَافذَةٍ لَمْ يُشَيِّعْهَا الهَالِكُونْ
كَيْفَ آوِي إلَيْكْ ؟

يَا أنْتَ وأَنْتْ
يَا أنْتَ وَأنَا
يَا أنْتَ وَهُمْ
لَمْ تُفَاجئْنِي سُنْبُلةٌ تَأمُرُ لِي بقَليلٍ يَكْفِي مِنَ الآلاَمْ
لاَ شَمْسَ تَسْرقُ منِّي وَدَاعِي
وَلاَ أَحَدَ يُغَطِّي ذرَاعِي
بِاسْتِعَارَتِهِ الخَالِصَةْ

تُرابُ الأرْضِ
هَلْ تُرَابُكِ أيَّتُهَا الأرْضُ
جدَارُنَا الأبَدِيُّ ؟
أعْمَى
وَأسألُ عَابِرِينَ عَنِ ارْتِطَامِ الشَّوْقِ

أَقْواسٌ
وَخَطُّ يَدٍ مُقَطَّعَةٍ
وَجبْسٌ دَائريٌّ يَصيحُ : أنَا القَتيلُ
وَزُرْقَةٌ عَلَى حَدِّ مَأسَاةٍ تُحطِّمُ مَنْ يراهَا
وَمِلْءَ أنْفَاسي مَنَاطقُ تَتَفَتَّتُ وَتَلْتَئِمُ
تُوصِي بهَذَا الوَقْتِ حُمَّايَ
انْغَرسْ يَا فَراغَ العَيْنِ
في بئْرٍ
تُذَكِّرُنِي بإمْلاءِ صَرْخَةٍ
فَاضتْ بِأعْشَابٍ يُصَادِقُ نارَها الغُرَبَاءْ

هَيْهَات !

مَرَّ المجْنونُ في تَوحُّشهِ فَصَادفَ
حَيَّ لَيْلى ولَقِيهَا فَجْأةً
فَعَرَفَهَا
وَعَرفَتْهُ
فَصَعِقَ وَخَرَّ مَغْشيّاً عَلَى
وَجْهِهِ.

وَأقْبَلَ فتْيَانٌ منْ حَيِّ لَيْلى فَأخَذُوهُ
وَمَسَحُوا التُّرابَ عنْ وَجْههِ.
وَأسْنَدُوهُ إلَى صُدُورِهِمْ.

سَألُوا ليْلَى أنْ تَقِفَ لَهُ وَقْفَةً
فَرَقَّتْ لِمَا رَأتْهُ بِهِ
وَقَالَتْ أمَّا هَذَا فلاَ يَجُوزُ أنْ
أفْتَضِحَ بِهِ.

قَالَتِ اذْهَبِي إلَى قَيْسٍ
قُولي لَهُ :
لَيْلَى تَقْرأ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَتَقُولُ
لَكَ : أعْزِزْ عَلَيَّ بِمَا أنْتَ فِيهِ،
وَلَوْ وَجَدْتُ سَبيلاً إلَى شفاءِ
دَائِكَ لَوَقَيْتُكَ بِنَفْسي مِنْهُ.

أفَاقَ قَيْسٌ وَجَلَسَ وَقَالَ :

أبْلِغيهَا السَّلامَ

قُولي لَهَا هَيْهَاتَ

إنَّ حَيَاتي وَوفَاتي لَفِي يَدَيْكِ

قُولي لَهَا :

وَكَّلْتِ بي شَقَاءً لاَزِماً

وَبلاءً طَوِيلاً.

مَحْوٌ كَامِلٌ

لِلْفراق عَجيبُ السَّرائرِ
وَهَذَا الـمَوْتُ وَيْلي
يُغَطِّي عَلَى الظُّلُمَاتِ طَبَقَةً فَطَبَقَةْ
وَيَـمْحُو سوَاهُ
يَا أَجَلَّ مَا ابْتُلِيتُ بِهِ !

وَعَنِّي أُخْبرُكَ
أنِّي كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ كَلَفَاً
بجَاريةٍ لِي
فَفَجَعَتْني بِهَا الأَقْدَارُ
وَأَنَا دونَ العِشْرينْ
سَبعَةَ أَشْهُرٍ لَمْ أَتَـجَرَّدْ عَنْ ثِيَابِي

وَظَلَّ الدَّمْعُ أَسْبَقَ مِنْ كَلاَمِي

وَلَوْ قُبلَ فِدَاءٌ
لَقَدَّمْتُ مُسْرِعاً طَائِعاً
لأَيِّ مَذْبَحٍ
بَعْضَ أَعْضَاءِ جِسْمِيَ العَزِيزَةِ عَلَيّ

فِي سَاعدِهِ وَرْدة

قَالَ أَخٌ لي منْ أَهْل الكُوفَةِ :
هَلْ لَكَ فِي عَاشِقٍ تَراهْ ؟
مَضَيْتُ معَهُ
فَرأيْتُ فَتىً كَأَنَّما نُزعَتِ الرُّوحُ
مِنْ جَسَدهِ
كَانَ مُؤتَـزِراً مُفَكِّراً
وَفِي سَاعدِهِ وَرْدَةْ

ذَكَرْنَا لَهُ بَيْتاً مِنَ الشِّعْرِ
فَتَهَيَّجَ
ثُمَّ أطْرَقَ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ
حَضَرْتُ جَنَازَتَهُ
فَإذَا بجَاريةٍ تَسْأَلُ عَنِ القَبْرِ
دَلَلْتُهَا
فَمَا زَالَتْ تَأْخُذُ التُّرابَ وَتَجْعَلُهُ فِي
شَعْرِهَا.

سُؤَالُ نَفْسِي

مَنْ مِنْكُمْ
وَاثِقٌ مِنْ مَحَبَّتِي لَكُمْ
سُؤَالُ نَفْسِي لِنَفْسِي

تِلْكَ الشَّجَرَةُ ذَاتُهَا
شَجَرَةُ أَسْلافِيَ الغُرَباءْ
مُهَاجِرَةٌ
فِي قَيْظِ اللُّغَاتِ
وَفِي الغُبَارِ
تَنْشَأُ رَغْبَتُهَا وَمَعَارِجُهَا

جُنُونيَ أَمْلَسُ وَفِي أَقْفَاصِهِ أَدْنُو
مِنْ طُفُولَةِ الـحِبْرِ

أَدْنُو
منْ دمَاءِ رَأْسٍ
وَحيداً يَتَدَحْرَجُ عَلَى أَرْضِ كِتَابْ

الشَّمْسُ وَالقَمَرُ منْ مَاءِ الـمَحَبَّةِ يُولَدَانْ
لكُلٍّ مِنْهُمَا أَخَادِيدُهُ
وَفِي اخْتِلاَفِهِمَا يَتَوَحَّدَانْ

وَحينَ أُحِبُّكُمْ
أُحبُّ البَعِيدَ هَارِباً مِنْ شَظَايَا ضَعْفِكُمْ
وَمِنْكَ
بِأَنْفَاسي الـمُبَلَّلَةِ
أَقْتَربُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ
مُصْغياً لِنَبْضٍ
يَتَحَدَّرُ مِنْ أَنْحَاءِ الضَّوْءْ.

بَيْنَ حَدَّيْن

وَإِنِّي لأَعْرفُ فتَاةً منْ ذَواتِ
الـمَناصبِ والـجَمالِ
أحَبَّتْ فتًى مِنْ أَبْنَاءِ الكُتَّابِ
حَتّى بَلغَ الـحُبُّ مَبْلَغَ
الهَيَجَانِ
وَكَادَتْ تَخْتَلِطْ

كَانَ يَتَكَلَّمُ في
شَيءٍ منَ
الـمَحَبَّةِ
وقَنَاديلُ مُعَلَّقَةٌ
فرَأَيْتُ القَنَاديلَ
تُصَفِّقُ
حَتَّى تكَسَّرتْ

هُو ذَاكَ إِدْمَانُ الفِكْرِ
حَيْثُ
الـخُروجُ مِنْ حَدِّ الـحُبِّ
إلى حَدِّ الوَلَهِ
وَالـجُنُونْ

مَنَعَ مِنْ دَفْنِهَا

كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْد الـمَلِك بْنِ
مَروَان صَبّاً بجَارِيَتِهِ حَبَابَة.

خَلاَ يَوْماً فِي لَهْوٍ مَعَهَا.
قَالَ : لأُكَذِّبَنَّ قَوْلَتَهُمْ :
مَا صَفَا لأَحَدٍ عَيْشٌ يوماً كَامِلاً.

أحْضَرَ الـحَاجِبَ وَأَمَرَهُ :
لاَ تَأْذَنْ لأحَدٍ
وَلاَ تُعْلمْني بِخَبَرٍ وَلَوْ كَانَ فيه
ذَهَابُ مُلْكِي فِي هَذَا اليَوْمْ.

أَقَامَ مَعَهَا فِي أَمْتَع حَالٍ
وَعنْدَمَا تَنَاولتْ رُمَّاناً شَرِقَتْ
بِهِ. فَمَاتَتْ لِوقْتِهَا.

عَرضَ لَهُ عَلَيْهَا ضَرْبٌ منَ الوَلَهِ
حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّبْرِ
فَمَنَعَ مِنْ دَفْنِهَا.

وَحُكيَ أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بَعْدَهَا سوَى
سَبْعَةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ مَاتْ.

أوْراقٌ بَيْضَاء

كَانَ لـي فـي حَيِّ الـمَخْفِـية مِـنْ
عَدْوَة الأَنْدَلـسِ صَدِيـقٌ يَـدْرُسُ
الأَدَبَ الفَرَنْســــيَّ بالرّبَاطْ.

وَعِنْدَ حُصُوله عَلَى الإجَازة في
كُليـة الآدَاب تَمَّ تَعْيِـنُهُ مُدَرّسـاً
بِثَانويةِ مَولاَي إِدْريس بِفَاسْ.

كُنَّا كُلَّ ظَهِيرَةٍ نَلْتَقِـي وَنتحَـدّثُ
عَنْ رَامْبُو وَمَلارْمي وَجُونْ جُنِيه
وَرولاَ [illegible] رْطْ وَفْرَنْسِيس بُّونْجْ.

شَيْئاً فَشَيْئاً تَسَلَّلَتْ كَلِمَاتٌ عنْ
أُسْتَاذَةٍ إِلَى حَديثِنَا. كَلِمَاتٌ عَنْ
تَحيةِ الصَّباحِ وَتَبَادُلِ المِمْحَاة
قَبْلَ الالْتحَاق بِالقسْمِ وَمُتَابَعَةِ
الحَركَةِ البِنْيَويّةِ فِي بَاريسَ
وَاللّبَاسِ وَرَائِحَةِ العِطْرِ وَالطَّريقِ
المُؤَديةِ إِلَى بَيتِهَا في وَادِي
الشُّرَفَاءْ.

ثُمّ لَمْ يَعُدْ لَنَا حَديثٌ عَنْ
غَيْرِهَا. هِيَ وَحْدَهَا تَبْتَسِمُ
وَتُنَاقِشُ ثُمَّ تَعْتَذِرُ أَحْيَاناً عَنْ
مَوْعِدٍ خَارجَ العَمَلِ.

تُفَضّلُ ولاَ تُفَضِّلُ. انْشِغَالُهَا
بِأَلْبِيرْ كَامُو وَمَدَام بُوفَارِي وَقَلِيلٍ

مِنْ قَصَائد رُوني شَارْ وَكتَابِ «الفَضَاء الأَدَبِي» لِمُوريسْ بْلاَنْشُو.

رَأيْتُهُ ذَاتَ سَبْتٍ مُبْتَهجاً فَأَخْبَرني بعَائلَتِه التي قَصَدَتْ بَيْتَ الأُسْتَاذَةِ لِتَطْلُبَ رَسْميّاً يَدَهَا للصّديقِ. كَانَ يُدَخّنُ سيجَارةً بَعْدَ سيجَارةٍ وَيُراقِبُ السَّاعةَ.

ثُمّ يَوْمَ الإثْنيْن جَاءنِي مُنْفَعِلاً صَامتاً. وَبصُعُوبَة بَلّغَني رفْضَ الأُسْتاذَة وَتَغَيُّبَهَا عَن العَمل في الصَّبَاحِ وَالعَائِلَةَ التِي لاَ تُشْبِهُ العَائلَةَ.

وَكَانَ النُّحُولُ يَزْدَادُ وَالصَّمْتُ
يَزْدادُ وَعَدَمُ لِقَائِنَا يَزْدَادُ.

وَأَخَذَ الأَبُ يُحَدِّثُنِي عن الصّدِيقِ
فِي غُرْفَتِهِ التي لاَ يُغَادِرُهَا وَأَدْوِيَةِ
الطَّبِيبِ التِي يَرْفُضُهَا

وَالنّدَاءِ عَلَيْهَا في النّهَار واللَّيْل
وَإِخْوَتِه الذينَ لَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهُمْ
وَأُمّهِ الغريبةِ عَنْهُ وَمَلاَبسهِ الّتي لاَ
يُغَيّرُهَا وَشَعْرِهِ الذِي يَطُولُ وَالمَاءِ
الذِي وَحْدَهُ يُفَضّلُ وَدَفَاتِرِهِ التي
يَطْلُبُهَا ولاَ يَكْتُبُ فِيهَا شَيْئاً

وَالصُّراخ الـمُتَصَاعِدِ وَالأَثْواب
التِي يُـمَزِّقُهَا وَنَوْمِه عَلَى بُـرودَةِ
الـزّلِّيـج وَالعُزُوفِ عَمّـا يَكْتبُـهُ
الفَقيهُ وَالـحِجَاب الـمُعَلَّق عَلَى
صَـدْرِه وَالنّـافِذَةِ الّتي أَغْلَقُوهَـا
وَدَقُّوهَا بِالـمَسَامِيرِ.

وَكَانَت الفَجِيعَةُ
وَجَدُوهُ في الصَّباح مَشْنُوقاً وَعَلَى
الطَّاوُلَةِ أَوْرَاقٌ بَيْضَاءْ

V

رِسَالَـةٌ إلَى ابْنِ حَزمْ

لَمْ تَعُدْ في زَمَني يَا ابْنَ حَزْمٍ أُلْفَةٌ
ألرّجُلُ مُنْحَشِرٌ فِي حُفْرَة الـمَوَاعِدِ
أَوْ بخُطُواتهِ يَتَمَسّكُ مُدَافعاً
عَنْ طُقُوسِ
بِدَايَة أَنْ يكُونْ.
وَعنْدَمَا تَضْحَكُ نَجْمَةٌ عَلَى كَتِفَيْهِ سَقَطَتْ
يَسْحَقُهَا وَيَمْضي.
ألـمَرْأَةُ تَالفَةٌ بَيْنَ أَلْغَازٍ
وَبَيْنَ مُصَفّفَة الشَّعَرِ التي لاَ تنْتَظِرُ.
وَعنْدَمَا تَفْتَحُ خِزَانتَهَا
تَنْسَى قَمَراً كَان بهَا اصْطَدَمَ
وَقَالَ لَهَا : قُبْلَتُكِ شَهِيَّةٌ، وَأَنْتِ لِي.
الـحَافلاَتُ
وَالـمَصَاعدُ وَحْدَهَا
تُغَيِّرُ اتّـجَاهَ اللِّقَاءاتِ السَّريعَةِ.

قُبُلاتٌ عَلَى الـخَدِّ
تَـحيّةُ وَدَاعٍ
وَأَشْلاَءُ النُّفُوسِ عَلَى الطَّرِيقِ.

وَقْتاً بِوَقْتٍ مُجَاهَرَةٌ بِدَمٍ وَنَارٍ.
هَذه وَتِلْكَ أَنْبَاءُ عَهْدِنَا الـجَديدِ
عَهْدِ عَالَـمِنَا
حَيْثُ أُمَمٌ تَقْتُلُ أُمَـماً
أَحْشَاءُ الأَبْرِيَاءِ
عَبْر شَاشَاتِ التَلفزَةِ الكَريـمَةِ.
وَأَنْبَاءُ الدَّم وَالنَّارِ
تُخْفِي عَنْكَ وَعَنّي عَاشِقِينَ مَاتُوا
أَوْ سَيَمُوتُونَ
باسْم الـحقِّ
أَوْ بِاسْم الأَمْنِ
أَوْ بِاسْم حَضَارةٍ تَسْتَسْلِمُ للزَّفيرِ.

يَا ابْنَ حَزْمْ
منَّا مَعاً ضَاعَتِ الأَنْدَلُسْ
تِلْكَ اللّحْظَةُ التي لَمْ تُفْصحْ عَنْ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ
بَلْ كَانَتْ حَالةً
عَلَّمَتْكَ أُلْفَةً
وَتَرَكَتْ لي مَفَازَتَهَا.
غَرْنَاطَةُ تَسْقُطُ كُلَّ عَشِيّةٍ
وَلاَ أَحَدَ يَحْتَضِنُهَا
غَرْنَاطَةُ مَتْرُوكَةٌ للثَّلْج
أَمَامَ الزَّائِرِينَ القَادمينَ مِنْ ذَاكِرَةٍ مُشَوَّهةٍ
وَقُرْطُبَةُ
فِي قَلْعَةِ النِّسْيَانِ تُرَدِّدُ هَذَيَانَهَا.

يَا ابْنَ حَزْمْ
هَلِ الأُلْفَةُ طَبِيعَةٌ أَمْ حَالةٌ
هَذا العَهْدُ عَهْدِي
يُرْغِمُنِي عَلَى السُّؤَالِ
فِي نِهَايةِ قَرْنٍ لَهُ انْتِصَارُ الدَّمِ وَاضْطِرَابِ الـمقَاصِدْ.

هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ شَعْب يُقَاوِمُ المَنَافِي والعَذَابَاتْ ؟
هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ قَرْيَةٍ أُبِيدَتْ بكَامِلِهَا ؟
هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ طُيُور حَديديَّة تُدَمِّرُ مَا تَشَاءْ ؟
هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ مُتَحَضِّرِينَ يَقْتُلُونَ وَيُحْرِقُونَ الغُربَاءْ ؟
هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ قَوارِبِ المَوْتْ ؟
هَلْ أُحَدِّثُكَ عَنْ إِخْوَةٍ لِي يَصْرَعُونَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً هُنَا
وَهُنَاكْ ؟

عَمَّ تُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ يَا ابْنَ حَزْمْ ؟
عَهْدُ القَتْلِ عَهْدِي
وَالغَدْرْ
وَالبُغْضْ
وَالمَكِيدَةْ
وَطَعْنُ الأَقْرِبَاءِ لِلأَقْرِبَاءْ
هِيَ النُّفُوسُ مَرِيضَةٌ وَفَاسِدَةْ
وَالقُلُوبُ لَمْ تَعُدْ تُدْفِئُهَا الشَّمْسُ
شَمْسُ الأُلْفَةِ التي عَصَمَتْكَ وَقَادَتْكَ بَيْنَ حِمَمٍ
وَأَنْقَاضٍ تَسَابَقتْ إِلَيكْ.

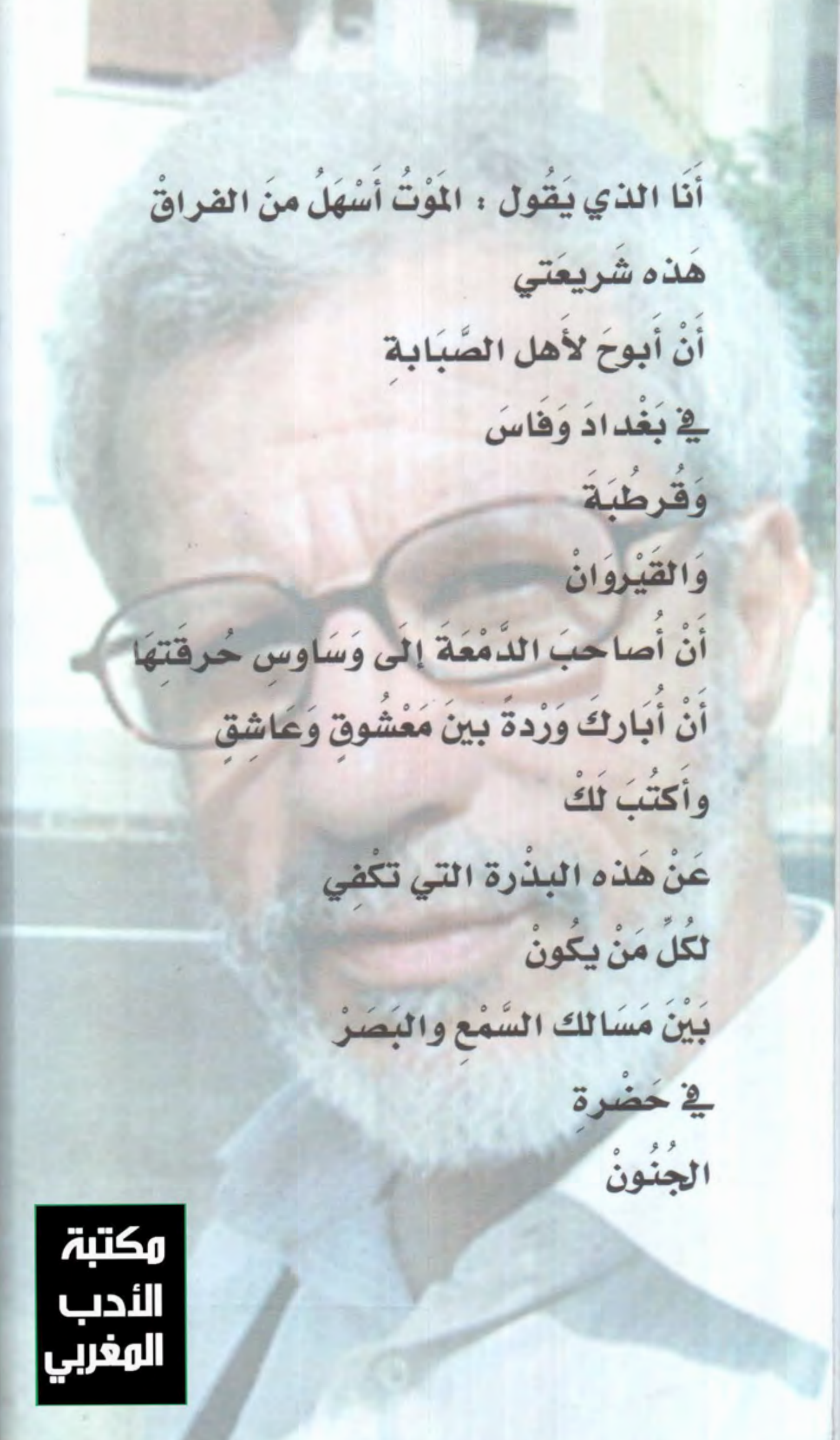
عَهْدِي عُنْفٌ لاَ يُقَاوَمُ
يَا ابْنَ حَزْمْ.

وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْ شَجَرَةٍ تَرْحَمُنِي بِفَيْئِهَا
وَأَقُولُ
مَتَاهِي مَتَاهُكِ أَيَّتُهَا الشَّجَرةْ
وَأَعْرِفُ أَنَّكِ لاَ تَأْتِينَ
مِنَ الغَرْبِ
ولاَ
مِنَ الشَّرْقِ
بَلْ أَنْتِ بِالأَحْرَى فِي كِتَابٍ تَرْتَجِفِينَ
وَهُمْ يُحْرِقُونَ الكُتُبَ
وَيُبَشِّرونَ بِصُورَةٍ تَمُوتُ عِنْدَ وِلاَدَتِهَا.

وَأَنَا يَا ابْنَ حَزْمْ
رَافَقْتُكَ فِي أُلْفَتكَ وَمَحَبَّتِكْ
وَرافقَنا سِوَايْ
لَمْ أَخْشَ عُزْلَةً مُبَاركةً
لأَنَّهَا مَسْكَني الأَخِيرُ
لَمْ أُضَيِّعْ صَدَاقَةً
وَهَبَتْ لي ضَوْءاً وَغَزَالةً
في عَهْد عُنْفٍ
لَيْسَ
عَهْدِي.

نفحـة

مطبعة النجاح الجديدة
الـدار البيضاء



أَنَا الذي يَقُول : المَوْتُ أَسْهَلُ من الفراقْ
هَذه شَريعَتي
أَنْ أَبوحَ لأَهل الصَّبَابَةِ
في بَغْدادَ وَفَاسَ
وَقُرُطبَةَ
وَالقَيْروَانْ
أَنْ أُصاحبَ الدَّمْعَةَ إلَى وَسَاوسِ حُرقَتِهَا
أَنْ أُبَارِكَ وَرْدةً بينَ مَعْشُوقِ وَعَاشِقِ
وأَكتُبَ لَكْ
عَنْ هَذه البذْرة التي تكْفِي
لكُلِّ مَنْ يكُونْ
بَيْنَ مَسالك السَّمْعِ والبَصَرْ
في حَضْرةِ
الجُنُونْ

مكتبة
الأدب
المغربي